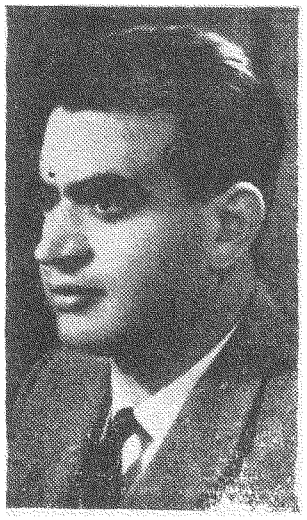

الخائن

بقلم الدكتور عبد السلام العجيلي

وقف المتهم ، وهو ضابط في ريعان شبابه فارع القامة وثيق البنيان تلتمع عيناه السوداوان تحت حاجبين كثيفين مقرونين فوق انفه ، وعلى كل من كتفيه تبرق ثلاثة نجوم نحاسية ، وقف المتهم حيال هيئة المحكمة وتطلع مليا في النائب العام العسكري حتى اضطر هذا الى ان يطرق ببصره متشاغلا بتقليب بعض اوراق ملف بين يديه . حينئذ توجه المتهم بنظره الى رئيس المحكمة الذي كان يتصدر المنصة يحمل شارات رتبته وكل اوسمته ويحف به من الجانبين اعضاء المحكمة وكلهم ضباط من مختلف الرتب والاسلحة في الجيش ، وقال :

سيدي الرئيس

اقف بين يديكم لالقي كلمتي الاخيرة قبل ان تصدروا حكمكم علي ، فارجو ان يتسع صدركم وصدر النائب العام العسكري لهذه الكلمة . انها الكلمة الاخيرة لي امام محكمتكم وربما كانت الاخيرة لي في الحياة كلها . بالامس اوكلت الكلام عني الى محاميّ وقد قام بجهده مشكورا. ما الذي يستطيع اقدر المحامين ان يطلبه لمتهم مثلي ، تكاتفت عليه الوقائع وطوقه النائب العام باغلال فصاحته وبيانه ، غير الرأفة والرحمة ؟ وقد كان في عزمي ان اكتفي بدفاع محامي واتقبل حكمكم بعده لولا ان خاطرا تسرب الى ذهني والح على تفكيري طوال الليلة الفائتة . هذا الخاطر كان يدعوني ، ما دمت مقدما على الحقيقة الكبرى التي ستتلفظ بها شفاهكم ، الى ان اقول كل شيء ، اقول كل الحقائق الصغرى التي اعرفها او التي عرفتها في هذه الايام الاخيرة . كان هذا الخاطر يصور لي اجراما ، اكثر من الاجرام الذي اتهمني به النائب العام ، ان اختص بهذه الحقائق الصغيرة لنفسي ويلح علي ان اقولها بصراحة وبصوت عال . لمن اقولها ... للتاريخ ؟ لكم يا سيدي الرئيس ويا سادتي الاعضاء ؟ للشعب ؟. لست ادري على التحقيق . ولكن علي ان اعترف لكم اني اومن بكم وبهذه المحكمة التي امثل امامها اكثر من ايماني بالتاريخ ومحكمته . كل الذين يقولون بان التاريخ ينصف مظلوما او يحاسب مجرما افلتته محاكم ايامه هم اما مخدعون او قليلو المعرفة اوهم سيئو النية . اما عن الشعب .. ولكن علي يا سيدي الرئيس ان لا استرسل كثيرا وان اصل سريعا الى الحقائق الصغيرة التي الح علي خاطري في الليلة الفائتة بروايتها وبان انفضها امام محكمتكم بصراحة ، وبساطة .

قبل كل شيء اريد ان اطمئن النائب العام الى أن هذه الحقائق الصغيرة لن تفعل شيئا في الطوق المتين الذي اثبته حول عنقي ، والى انه ما دام قد طلب رأسي فسينال رأسي . ليطمئن ،بل ربما وجد في هذه الحقائق الصغيرة ما يعينه على احكام ذلك الطوق لو ان في التهم التي صاغها لي زيادة لمستزيد . انا متهم بعصيان الاوامر العسكرية وبقتل المواطنين الابرياء وبالتآمر على كيان الدولة والنظام القائم ، وفوق ذلك كله انا متهم باني خائن ... خائن للثورة . ان التهم الاولى التي اثبتها النائب العام علي تكفي وحدها ، او بعضها ، لان تفقدني الحياة ، فما بال التهمة الاخيرة ؟ انا خائن للثورة ! ... انها ليست تهمة تقتل يا سيدي الرئيس بل هي سبة تلحق روحي بعد الموت وتلصق باسمي حين لا يبقى على وجه الارض جسد يحمله . كم انا معجب يا سيدي الرئيس بمقدرة النائب العام العسكري على احكام الشبكة حول فريسته حتى لا يترك للنجاة لها مهربا ! انها لمقدرة هائلة تزود لها بالعلم والفراسة وطلاقة اللسان وزادت مضاء بالمران ! .. لقد اشاد النائب العام بي ، بمواهبي ، بتقارير رؤسائي المشرفة عني ، بميولي الثورية واندفاعي المذهل في الطريق التقدمية ، ورفعني باطرائه الى القمة ليحسن بعد ذلك القائي في الهاوية السحيقة التي حفرها لي في أصل تلك القمة ، هاوية اتهامي باني خائن للثورة . اني اخفض هامتي احتراما لمقدرة النائب العام العسكري ، واصدق روايته لحوادث اليوم المشهور الذي جعلتني حوادثه مجرما ، ولا اطعن ابدا في صدق احد من شهوده الذين قدمهم للشهادة علي ، بل اني لاعترف امامكم بوجدي الشديد ببعض هؤلاء الشهود . ولكني رغم ذلك كله اريد ان اروي امام محكمتكم الموقرة حقائقي الصغيرة يا سيدي الرئيس .

تريدون مني ان لا اطيل وان ابدأ برواية الحقائق ؟ حسنا يا سيدي، سابدأ حالا . سابدأ قبل كل شيء برواية الوقائع ... ولكن أي الوقائع ابدأ بها ؟ لولا ان تظنوا بي السخرية لبدأت بيوم خلق السموات والارض، فكل وقائع هذا الوجود تبدأ بذلك اليوم . ولكن ذلك تاريخ بعيد ،فلأبدأ باليوم الذي قامت فيه القيامة التي امثل من اجلها امامكم الان . في ذلك اليوم وسدت لي مهمة لا يستطيع غيري ان يقوم بها وان علت مرتبته وسما مقامه . لقد غاب رئيسي ورئيس رئيسي في الفرقة التي انا ضابط في احدى وحداتها فانيط بعاتقي الواجب الذي توسم في القادة الاعلون كفاءة القيام به ، والذي من اجله مرض رئيسي واستدعى رئيس رئيسي الى مهمة في بلدة نائية . كيف حدث هذا فتخطى ذلك الواجب السامي اعناق الكبار ليقف عندي ؟ حدث ذلك لاني شاب قوى

الشكيمة ماضي الارادة واضح الاندفاع والاتجاه الذي تسير فيه ثورتنا المقدسة ... ثم لاننا في ثورة . اني لن افصل في ماهية ذلك الواجب فقد كفاني النائب العام العسكري مؤونة ذلك ، بل انه قد اورد في حرفيتها نصوص الاوامر التي تلقيتها شفاها وكتابة من القادة الاعلين . كان واجبي واضحا . في هذه المنطقة التي تعسكر فرقتي كانت ستقوم ثورة على الثورة .... استغفر الله والوطن ، بل سيقوم عصيان على الثورة . فكان علي ان احطم هذا العصيان كما يجب أن تحطمه قبضة بطاشة لضابط مثلي شاب قوي الشكيمة مؤمن باهداف ثورتنا التي يقوم في وجهها هذا العصيان . انها فرصة ثورتنا العظيمة التي لا تعوض ، للخلاص من الانهزاميين والرجعيين والمخربين ومن كل من يضع في عجلة التقدم الثوري عصا مجرمة . وقد انتهى الي ، انا الضابط المبتدىء المتواضع الرتبة ، شرف أن أعبر ساعدي لثورتنا تحطم بها في هذه الفرصة اعداءها السفلة ، حثالة الحثالات . قال النائب العام العسكري امامكم ان كل ما كان متوقعا ومهيأ قد تم ، فنشب العصيان وانكشف الانهزاميون والرجعيون والمخربون واتيحت للثورة فرصتها العظيمة المرتقبة ، الا ان الساعد الذي كان عليه ان يبطش ويضرب الضربة القاضية قد تهاون وتخاذل بل تآمر وانقلب . ذلك الساعد هو ساعدي . لذا حكم علي النائب العام بأني مجرم اثيم ووصمني فوقها بأني خائن ... خائن للثورة . اي ثورة يا سيدي الرئيس ؟ ان احدى حقائقي الصغيرة تقوم على ان هناك الوانا من الثورة يجب ان نميز بينها ، وكان على النائب العام ان يوضح لمحكمتكم اي ثورة قد خنتها انا . اذن لقال لكم انها ثورة الشعب .

حسنا .... على كل حال فان النائب العام لم تعوزه الادلة ان في تهمته لي او في وصمته فساق منها كثيرا كثيرا . وكذلك لم يعوزه الشهود . فلو شاء لحشد مئات الشهود الذين يتطوعون ليتقدموا الى عدالتكم بما رأوه من تهاوني وتخاذلي وتآمري وانقلابي . ولكن النائب العام لم يرد ازعاجكم واكتفى بازعاجي انا ... قدم اليكم فيما عدا شهادة مرافقي الذين تلقوا اوامري المباشرة في ذلك اليوم شاهدا واحدا اليس من حقي بعد هذا ان أتقدم بالتهنئة الى النائب العام على مقدرته وبراعته وحنكته ؟

سيدي الرئيس :

اقسمت سلمى امام محكمتكم يمينا على انها تقول الحق ، ولقد برت بيمينها وما كذبت . هناك ، على ما اعرف ، محاكم غير محكمتكم الموقرة يقسم الشاهد امامها على ان يقول الحق كل الحق ولا شيء غير الحق ، فلو أن سلمى كانت ادت قسما كذلك القسم قبل أن تقدم شهادتها ضدي امس اذن لاستطعت القول انها حلفت يمينا كاذبة وانها ما برت بقسمها . ذلك ان سلمى لم تقل الحق كله امس . روت حقا ما فعلته انا حين خالفت الاوامر الصريحة التي زودت بها فلم اوجه نار رشاشات وحداتي الى المظاهرة القادمة من الاحياء الشمالية حاملة على الثورة وبعض لافتات تحمل بعض الشعارات بل وجهتها الى الجموع التي كانت تحمل علم الثورة وتحمل معها حبالا للخنق واعمدة للشنق وسواطير تفلق الهامات والتي قدمت من الجنوب . روت سلمى هذا وكان هذا حقا ، ولكنها لم ترو ماذا عملته انا في الليلة السابقة لليلة العصيان . روت سلمى حقا انقلابي المفاجيء على الاتجاه الذي كنت اسير فيه في اندفاع نحو غاية عهدنا الجديد ولكنها لم ترو حقا لم كان هذا الانقلاب ولا ماذا كان دورها هي ، سلمى ، في هذا الانقلاب . ثم ان سلمى اعطت النائب العام العسكري مستندا ليس اقوى منه حينما قالت اني خائن للثورة ، وكان قولها ذلك حقا ، الا انها لم تقل فيه كل الحق اذ لم تبين للنائب العام ولا لمحكمتكم ما هي الثورة التي خنتها انا . ان احدا غير سلمى لا يستطيع ان يميز بين الثورة التي خنتها وتلك التي لا ازال لها مخلصا. وحقائقي الصغيرة التي وقفت لارويها لكم تقوم على ما لم تقله سلمى في شهادتها امامكم يا سيدي الرئيس .. انها تقوم على ما علمته انا في الليلة السابقة ليوم العصيان وعلى التمييز بين ثورتين اذا كنت اعترف باني خنت احداهما فاني آبى كل الاباء ان أوصم باني خنت الثانية او تهاونت في امرها . الثورة الحقيقية انا لم أخنها ولن اخونها ، وحسبي أن رأسي الذي يطلبه النائب العام العسكري منكم سيكون فداء لها ...

سلمى ... وانا لا اسميها باسم اسرتها ولا اسبق اسمها بلقب الانسة . سلمى هي كما وصفها النائب العام خطيبتي . بل هي اكثر من خطيبة يا سيدي الرئيس .. هي حبيبتي ! ان ساحة محكمتكم الموقرة ليست معودة على ان تسمع اعترافات الحب .. ولكن سلمى حبيبتي ونحن انما قمنا بالثورة لنسمي الاشياء باسمائها ، اليس ذلك صحيحا ؟ قبل الثورة كانت تعمر قلبينا ، سلمى وانا ، مشاعر واحدة عن اعداء الوطن ومستثمري الشعب وتدور في راسينا افكار متماثلة عن الطريق الصحيحة التي يجب ان يسلكها الشعب للخلاص من اولئك الاعداء والمستثمرين ولبلوغه حريته . كانت هي في مدرستها تلقن تلميذاتها حب الوطن وانا في قطعتي اهيىء جنودي لحماية الوطن ، وفي كل كلمة منها وكل ايعاز مني لمحة من الثورة التي لاشك في قدومها ، ثورة الشعب في سبيل الوطن . فلما شبت تلك الثورة وحد انتصارها بين قلبينا ، انا وسلمى كثائرين باكثر مما وحد عهد الخطبة بين مصيرينا كرجل والفتاة التي ستكون امرأته . بالثورة اصبحنا حبيبين بعد ان كنا لسنا غير شابين تعاهدا على الزواج . ولكن كان مقدرا لنا ان نفترق من حيث التقينا .شب حبنا مع الثورة ونما بنموها فاصبحنا ، انا وسلمى، نلتقي ونتحادث ونتناقش في صراحة وكندين في ميدان الثورة وفي ميدان الحب معا ، لنكتشف ان بيننا تباينا في مفهوم كل منا لمعنى الثورة ... ولمعنى الحب كذلك . تباين خفيف اخذ بالتوضح شيئا وراء شيء حتى انتهى بنا ، انا وسلمى ، الى هذه النهاية ... الى ان نمثل امامكم : انا في قفص الاتهام وهي في موقف الشهود . كان التباين ضئيلا اول الامر يا سيدي الرئيس . كنت انا ارى ان الثورة المجيدة التي قام بها الشعب هي ثورة للوطن ، اما سلمى فكانت ترى ان الثورة للشعب. واي فرق بين الوطن والشعب ؟ كنت ، وكانت .... كنا نحسبه فرقا هينا ولكن انظروا الى اين انتهى ذلك الفرق الهين ..

سيدي الرئيس . اني رجل عسكري قد تعودت ان استخدم ما بين يدي من مادة في سبيل غاياتي المعنوية : استخدم الحديد والنار والقذائف والارض الجرداء والقرى المعمورة وحتى جنودي ، وهم اخوتي الادميون ، في سبيل الوصول الى الظفر والمجد والمثل الاعلى . ليست نشأتي العسكرية وحدها هي التي تدفعني الى تفضيل المعنى على المادة والروح على الجسد ، بل اني افعل ذلك لاني من امة آمنت دوما بان الروح فيها اولى من الجسد وبان معاني مجردة مثل الجود او الشجاعة او الذكر الحسن هي اسمى من المال او طول البقاء او من الحياة نفسها . فاذا انسقت انا العسكري المنتسب الى هذه الامة الى التفريق بين الوطن وبين الشعب ثم سئلت عمن اختار بينهما فمن الطبيعي ان اختار الوطن فافضله وافديه . ذلك ان الوطن هو القيمة المعنوية للكمية المادية التي اسمها الشعب . منذ الصغر ونحن نهتف : نموت ويحيا الوطن ..

من نحن ؟ نحن الشعب !.. في صبانا وفي فتوتنا وشبابنا تعلمنا وعملنا على ان نضحي بغايات الافراد وبحيواتهم في سبيل سلامة الوطن وحريته وعلائه . فلو ان انسانا عرض علينا ان يبيعنا رفاه الافراد ، وهم الشعب ، وامنهم وسلامتهم بثمن يقبضه من مثلنا العلياومن قيمنا الروحية اذن لصفعناه على وجهه ورددناه خاسئا مدحورا . لماذا ثرنا ثورتنا الكبرى يا سيدي الرئيس ؟ اننا ثرنا على اناس كانوا يمنوننا بالرفاه وبالتقدم المادي في مستوى حياة الشعب ، لاننا رايناهم يسعون الى ذلك على حساب عزة الوطن وكرامته . لهذا ثرنا وفي اعماق اعماقنا يعيش شعرنا القديم : نموت ويحيا الوطن . في اعماق اعماق سلمى كان يعيش ذلك الشعار مثلما كان يعيش في اعماق اعماقي ... ولكن رياحا نكباء هبت على شعلة ثورتنا من جهات الارض الاربع فحرفت نور الشعلة عن الوطن وسلطته على الشعب . في البدء قالوا : ماالوطن وما الشعب ؟ انهما سيان ! ولكن شعاراتهم اخذت تتضح شيئا بعد شيء وتأخذ اتجاهها المنحرف الذي يريدون . كنا نقول الحرية ، فاصبحوا يقولون : الخبز . كنا ننادي بعلاء الوطن فاصبحوا ينادون برفاه الشعب . كنا نهتف بالجهاد ونحن نعني النضال حتى النصر فاصبحوا يهتفون بالسلام وهم يعنون الذل والعبودية والتبعية . ما اكثر من انساقوا وراء هذه الشعارات المستحدثة وهم لا يدركون مغزى ما يفعلون ؟! من هؤلاء سلمى التي بدأت انحرافها بأن كانت تناقشني في ان ثورة الشعب وان مدلول اللفظتين واحد ثم انتهت الى ان تتهمني باني خنت الثورة لان الثورة هي ثورة الشعب للشعب وانا خائن للشعب ! ولكن قولها هذا لم يكن الا امس يا سيدي الرئيس وفي محكمتكم هذه . اما قبل امس ، قبل يوم العصيان اقصد ، فان سلمى كانت تناديني ببطلها الحبيب وانا اضمها بين يدي واهصر قدها بذراعي والتهم شفتيها بشفتي .

اسمحوا لي يا سيدي الرئيس .... لا اريد مما اقوله الان ان اسيء الى سلمى ، سلمى حبيبتي اول امس وخطيبتي اول اول امس . وانا اطمئنكم على ان ما اقوله في حق سلمى سيسرها ولو كان سوءا ، فانها ستتخذه دليلا على شدة اندفاعها في السبيل الذي دفعها فيه مديرو وجدانها السياسي . للثورة في النفوس اثر مثل اثر الخمرة في الرؤوس وقد فعل هذا الاثر في نفس سلمى فانتشت به وسكرت منه وبدل بسلوكها سلوكا جديدا في الحياة وحيالي انا خطيبها . اخذت العلاقة بيننا تتسم بسمات جديدة لم تكن لها حين كانت سلمى تقابلني على استحياء وتحدثني بخفر وتحمر وجنتاها الخمريتان خجلا اذا ما مست احاديثنا مستقبلنا الذي سنكون فيه زوجين لكل منا على الاخر حق القرين على القرين . كل ذلك حدث بعد الثورة . لقد ظللت انا اسير ثكنتي وفرقتي واوامر قادتي العسكريين ، لحياتي مفاسد كل حياة جندية ولكن مفاهيمي المعنوية ظلت في عليائها لم تنحدر الى مستوى الارض ولا تمرغت في الوحول . اما سلمى فان تطورات ما بعد الثورة زلزلت مفاهيمها العاطفية فاخذت هذه المفاهيم اشكالا جديدة ادركتها انا فتركتني بين الدهشة لسرعة انطلاق سلمى في تطورها وبين الغبطة لان تطورها قد اغدق علي من مفاتنها مالم اكن احلم به . انتم يا سيدي الرئيس ويا سادتي الاعضاء عسكريون تدركون جفاف حياة الضابط في ثكنته اذا كان مستنفرا وكانت ملقاة على عاتقه مهمة يتعلق بها مصير كيان نظام ودولة . ولكن سلمى ، المعلمة الحبيبة حين عرفتها قبل ان تدير الثورة ، ثورة الشعب اعني !، راسها ، سلمى هذه كانت تجد الوسيلة، بصفتها عضوا ذا شأن في المنظمة الشعبية ذات النفوذ السياسي الكبير ، الى ان تزورني كل ليلة في مقر قيادتي وان تقضي الساعات الطوال في مكتبي تناقشني في تطورات الحال الراهنة في قطاع عملي وعملها ، القطاع المشرف عليه انا عسكريا والمشرفة عليه هي سياسيا . وفي الليلة التي سبقت نهار العصيان زارت سلمى مكتبي مثلمافعلت في كثير من الليالي الفائتة . استبدت بها الحماسة وهي تحدثني في خطة الصباح وتطلعني ، على غير توقع مني ، على اسرارها حتى برقت عيناها بالق التصميم واستطالت قامتها بفورة الاقدام . ان عيني سلمى كما لاحظتم ولا شك يا سيدي الرئيس عسليتان واسعتان ، بل هما وحشيتان طويلتا الاهداب . وقامتها كما رأيتم معتدلة لفاء ينهد منها صدرها بارزا مغريا ويلتف دونها ساقاها مشيقين رائعين . فما كان لي عذر ، في فورة الحماس وفي وحدتنا واغراء الليل بنا ، الا اتناول قدها بيدي اهصر خصرها واحطم شموخ نهديها والتهم شفتيها المحمومتين بشفتي الجشعتين. ولقد فعلت .. فختمت بقبلة لاهبة على اتفاق بيننا ان انفذ في صباح الغد تلك الخطة السياسية التي اسندت الي من اجل تنفيذها قيادة قطعة ليست هينة من الجيش بعد ان غاب رئيسي فيها عنها مريضا واستدعي رئيس رئيسي في مهمة خطيرة في بلدة نائية .

كيف قبلت بتنفيذ تلك الخطة بمثل تلك البساطة ، بل كيف هضمتها قبل ان اقيئها في لحظة معرفتي باسرارها ؟ جواب ذلك ان ذهني كان مشتتا في تلك الساعة من الليل لان بصري كان معلقا بالفرجة بين نهدي سلمى بادية من زيق قميصها الرياضي وهي تحدثني حديثها الحماسي . جواب ذلك ان جسد سلمى وانا اضمها كان يتقلب افعوانيا بين ذراعي ليلتحم بي كأن كل خلية منه كانت في شوق الى كل خلية من جسدي . جواب ذلك ان قبل سلمى كانت من القوة والحرارة ان ظلت تحرق شفتي الى الصباح وتركض في عروقي الدم الفائر والشهوة العارمة . الخطة كما مصورتها لي سلمى كانت هينة واضحة : في صباح الغد سيقوم العصيان المبيت على ثورتنا المقدسة ، وواجبي الهين الواضح ان اقمع ذلك العصيان ببطش وجبروت لئلا تقوم لاعداء الثورة بعدها قائمة . ويقينا ما كنت في حاجة الى ايضاح من سلمى ولا لتشجيع منها ولا لاغراء حتى اقوم بذلك الواجب . كنت في اعماق نفسي اشعر بالفخر ان اسندت الي مهمة البطش بهؤلاء العصاة الجناة الخونة المأجورين ، الذين يريدون اطفاء شعلة الثورة والعودة بالوطن الى عهد الرجعية والفساد . انني سأفتك بهم قابضا عليهم بالجرم المشهود ، في محاولة ارتكاب جريمتهم الشنعاء ... فقد كنت أعلم مقدما بأن عصيانهم سيبدأ بصورة مظاهرة تبدو سلمية ولكنها مهيأة لتنقلب بعد دقائق من بدئها الى عملية تقتيل وتذبيح وتدمير الغاية منها ان يتاح لاعوان معروفين وضع ايديهم على مرافق الدولة العليا والقضاء على ثورتنا المجيدة المقدسة . كل هذا كنت اعرفه مقدما واهنيء نفسي على معرفتي به وفي نفسي ان ليس من حقائق عن المؤامرة المبيتة اكثر مما اعرفه . ولكن سلمى ، في تلك الليلة ، شاءت بدافع من واجبها كمسؤولة سياسية تريد اطلاع المسؤول العسكري المخلص او بدافع من عاطفتها كحبيبة تريد ان تكتم شيئا عن محبها المولّه ، شاءت ان تفتح عيني على امور جديدة ما كان لي بها علم مسبق . اعلمتني سلمى ان العصيان الذي سيقوم في الغد له حقيقة غير الحقيقة التي أبلغتها من رؤسائي ، وانه وان بدا مهيأ من أعداء الثورة هو مدبر في اصله من اولي الامر في الثورة وفق خطة متقنة محكمة التدبير اعلمتني سلمى بكل تفاصيلها .

ـ التتمة على الصفحة ١١١ ـ

الخائـــن

ـ تتمة المنشور على الصفحة ٢٢ ـ

تلك الخطة المحكمة كانت علي ان المظاهرة التي ستقوم في الغـد هـي مظاهرة سلمية حقا ، قد اوعزت بها سرا سلطات الثورة المسؤولة وكلفت بها نفرا من المواطنين الشرفاء على ان تكون شعاراتها الى جانب الولاء للثورة استنكار بوادر الاباحية في الاخلاق ومظاهر الانفلات في السلوك والتحديات الوقحة التي بدأ بعض المتطرفين بتوجيهها الى العقائد الاصيلة في الامة والى المثل العليا التي نادت بها الثورة بقوة يوم اعلانها . هكذا ستقـوم المظاهرة السلمية في الغد بايعازه ولو انه ايعاز سري ، من سلطـات ثورتنا المباركة . ولكن ثمة ايعازا اخر من هذه السلطات نفسها الـى اخرين ليقفوا في وجه المظاهرة السلمية هذه بمظاهرة مثلها .. ولكـن غير سلمية .. فهم سيحملون بدل الشعارات المكتوبة اسلحة ماضيـة وحبالا للخنق واعمدة للشنق معدة كلها لاعداء التطرف في الثورة الذيـن يمشون في المظاهرة السلمية . وواجبي الواضح الهين يبدأ حـين تلتقي المظاهرتان ، وهو اوضح واهون مما كنت اتصوره ، فهو ينحصر في ان اترك لحاملي الاسلحة والاعمدة والحبال حرية التصرف فاذا اتموا مهمتهم اتممت اداء واجبي في تطويق دور بعينها يقطنها رجال بعينهم متهمون بانهم هم الذين اثاروا العصيان وهيأوا التمرد وتسببوا فـي المجزرة . ذلك انه ستكون في الغد مجزرة ولا شك ، يموت فيها ابنـاء الشعب لتحيا ثورة الشعب .. فثورة الشعب لا تحيا اذا لم تتغـذ بدماء ابنائه ! وأنا، انا الذي يؤمن بالثورة وبالوطن وبالشعب ، سيكـون لي الفخر بان احمي هذه المجزرة المشرفة في الغد وان اتمم فصـولها باعتقال رجال موصومين بالتنكر لثورة الشعب وأن أسلم هؤلاء الرجال الى حاملي ادوات الشنق والخنق والتقطيع !... يا له من غد مشرق سيكون بالنسبة لي يوما عظيما يرفع رأسي ويرضي ضميري ويفتح لـي بوابة مستقبل رائع ...

وانطلقت في الصباح التالي آلة الخطة المبيتة دقيقة في توقيتهـا واحكامها . ورأيت بعيني كيف اقبلت جموع الناس المسالمين يرفعون علم الثورة ووراءه لافتات تستنكر الافراط في الاباحية والتحلل والتحدي الوقح وتدعو الى ان تظل شعلة الثورة متقدة بنور الحرية والعزة للوطن والكرامة للشعب الذي يعيش على ارض الوطن . كانت الشعارات التي تنادي بها المظاهرة هي الشعارات التي تحمل من نفسي اعماق اعماقها، وكان الناس الذين يقولون بها هم اخواني وأبناء عمي الذين ترتد اصولهم الى الارومة التي منها اصلي ، في قلوبهم الاخلاص وفي نفوسهم الخـير وعلى السنتهم الصدق والصراحة . وكنت احيط مظاهرتهم بجنودي وهم مطمئنون الى ان هؤلاء الجنود هم اخوانهم وابناؤهم والى ان الاسلحة التي يحملونها انما يحملونها لحمايتهم وحماية مقدساتهم . غـير اني انا فائد الجنود كنت اعلم من الخطة ما لا يعلمه المتظاهرون وانتظـر مرور الدقائق التي ستبرز بعدها في عطفة الساحة الكائنة في اخـر الشارع الرئيسي جموع اهل الاعمدة والحبال والسواطير لاسبغ حمايتي على المجزرة التي توشك ان تقع ويقع ضحيتها هؤلاء المسالمون المخدوعون. اليس هو واجبي الواضح الهين ؟ حتى تلك الدقائق التي سبقت المجزرة كان طعم قبل سلمى لا يزال على شفتي ولهات انفاسها لايزال يلفح وجهي كأنها لا تزال تتململ بين ذراعي في وجد واشتهاء ، وكذلك افكاري كانـت لا تزال مأخوذة باقوال سلمى وبحججها وتفاصيل خططها . فكنت فـي مركز قيادتي اسجل مرور الدقائق واحدة بعد اخرى وفي كل دقيقـة كنت انفذ جزء الخطة الذي يخصها والذي يوصلها الى الخاتمة المؤكدة المبتغاة : تذبيح ابناء الشعب اتهام فريق محكوم عليهم مسبقا بانهم الذين خانوا الشعب وتآمروا على مستقبله ومصيره ..

وفي الدقيقة المعينة المعروف موقعها بالتأكيد في توقيت الخطة برز اهل الحبال والاعمدة والسواطير من عطفة الساحة التي تقع اخر الشارع الرئيسي يحملون العلم الاحمر وفي أعينهم الهياج الاحمر وفي حلوقهـم صرخات الحنق الارجوانية . فترددت جموع المظاهرة السلمية عـن التقدم بخطاها الهادئة ثم لم يلبث مئات افرادها ان تجمعوا متقاربـين كقطيع غنم هاجمته جماعة ذئاب ، وتحولت أعينهم الى فصائل جنـودي المسلحين الذين كانوا يحملون اسلحتهم مشرعة في أنتظار أوامري . ولكن جماعة الذئاب كانت تعلم أن اوامري لن تطلق ضدها ، فاندفع أفرادها يجرون حبالهم واعمدتهم ويلوحون بسواطيرهم نحو اللحم الادمي الـذي

دار المعارف بلبنان

بناية المسيلي ساحة رياض الصلح ص. ب. ٢٦٧٦

تقدم

قصة لؤلف شاب مات في العشرين من عمره ووصف قبل موته حياة الفراعنة الدافئة وصفا مؤثرا حزينا...

الشيطان في اللحم

القصة التي اهزت ضجة عظيمة في العالم.

تأليف
رمون راديغه

الثمن
١٥٠ ق.ل.
او ما يعادلها

تطلب من جميع المكتبات الشهيرة

وقف مكوما امامهم . حينذاك ، كما تنجاب عصابة كثيفة عن ناظر معصوب العينين ، سقط الحجاب الفليظ الذي كان يحجب عن بصيرتي النور والحق . لهاث انفاس سلمى اصبح فحيحا ومعسول طعم شفتيها انقلب في لهاتي سما زعافا ، وتبينت في تلك اللحظة ان تلوي قد سلمى المثير في حضني ما كان الا كتخاذل دليلة بين ذراعي شمشون لتستذله وتستعبده . تلاشى سحر سلمى امام منظر الذئاب الشرسة التي حددت انيابها لتمزق القيم السامية التي ربيت على تقديسها واسترخصت في كل يوم بقائي في فدائها . تبينت في تلك اللحظات الى اين انتهى الفرق الضئيل الذي بدأ بيني وبين سلمى ، انا في ايماني الصحيح بالوطن وهي في ما تدعي زيفا بانه ايمان بالشعب . انا في ايثاري سبيل التضحية حتى الفداء لبلوغ الغاية الكريمة وهي في سلوكها طريق الغدر وتبريرها الوسائل الدنيئة بالغايات البعيدة . حينذاك ، حين سقط الحجاب الفليظ عن بصيرتي ، اصدرت امري صريحا ومباشرا الى الوحدة التي كانت ترابط عند منعطف الساحة . فانطلقت رشاشاتها تحصد جماعة الذئاب وتنثر على الارض اعمدتها وحبالها وسواطيرها .. نعم ، لقد جرى ذلك بامري انا . وها انا الان اقف امام محكمتكم وبهمتي اني خائن للثورة . اية ثورة هذه التي خنتها ؟ انها ليست الثورة الحقة التي افديها بدمي ... بل ربما كانت تلك التي اسموها سفاها ثورة الشعب .

سيدي الرئيس ، سادتي الاعضاء

طلب محامي منكم الرحمة لي . والذي اعتقده انا اني لن اجد في قلوبكم رحمة . لا تحسبوا اني اعيبكم بهذا ولكني اعرف انكم عسكريون والرحمة في عرف العسكري وفي موضع الواجب ضعف . انا شخصيا لم ارحم اولئك الذين انقلبوا على الثورة المقدسة فحولوها الى اداة استثمار مادية وربقة يجرون الشعب بها الى التبعية ، فاطلقت رصاص رشاشاتي في صدورهم وصبغت الارض من دمهم . وانا الان غير نادم على اني فعلت ما فعلت . لذلك فان رحمتكم بي ، لو حدثتكم انفسكم بها ، ستكون في غير موضعها . امس ، حين قررت ان اتكلم اليوم فانفض بين ايديكم حقائقي الصغيرة ، امس سألت نفسي ما الذي اكسبه من رحمتكم ؟.. انا شاب في عنفوان الشباب ، احب الحياة ومفانتها حبا عارما ، ولكن هل خلد حب الحياة احدا في الحياة؟ ان الذين لن يعدموا رميا بالرصاص او يشنقوا بطلب من النائب العام العسكري او الذين لن يعلقوا على اعمدة التلفون او يقطعوا بالسواطير بايدي جماهير الغوغاء الثائرة سيموتون حتما حتف انوفهم او في حوادث السيارات او القطارات، ويذهبون كلهم وما قضى واحد منهم مأربه من الحياة . تخيلت لنفسي امس انكم براتموني واني خرجت من هذه القاعة حرا طليقا ضاما الى سلمى حبيبتي بذراعي ، فقلت لنفسي مافيمة الحياة احياها بعد الان ؟ ستمر علي الاعوام متتابعة تزيد من تعلقي بالدنيا وتنقص من قدرتي على التمتع بها الى ان انطفىء كما ينطفيء سراج نفد زيته . ستكون سلمى ، التي اعترفت امامكم انها لا تزال تحبني ، الى جانبي .. ولكن ما قيمة سلمى بعد الان ؟ انها ستكون لي جسدا بلا روح .. روحها تضاءلت حتى التلاشي حين تنكرت للقيم السامية التي كنا نؤمن بها معا . اما جسدها فلن يكون الا كاحد اجساد نساء كثيرات عرفتهن في عنفوان فتوتي ، يزول سحرها بزوال جدتها وازدياد الفتها . لا ...احب الي ان افارق الحياة وانا في ذروة القدرة على التمتع بها . كل النفوس الكبيرة لم تجد في العمر الطويل الا الاسى ، بل انها وجدت الذل احيانا. تحسر خالد بن الوليد متألما من موته على فراشه كما يموت العير . وكان اعز لنابليون لو قتل على جسر آركول او في معركة مارنغو قبل ان يذوق الهزيمة في سباسب روسيا او الذل على يد هدسون لو في سنت هيلانه. اني كعسكري لا ارى احسن فعلا من ميتةالاسكندر الاكبر في الثالثة والثلاثين من عمره وفي اقصى غايات نفسه ، في بابل بعد عودته من الهند البعيدة . وانا الان على ضآلة شاني ارى نفسي واقفا في اقصى غايات نفسي وعلى ذروة مآربي ، متهما بخيانة انا شديد الفخر بها . كان يمكن ان اموت في الثورة حين نشبت فاكون فداء لمولدها ، ولكني اموت الان لاني حاولت نفخ النار في شعلتها وتنقية نور الشعلة من الدخان والرماد والارجاس . لاكون صادقا لو قلت اني اكره الحياة ، فان قوى الحياة لا تزال تتفجر في شراييني وتلتهب ثائرة في اعصابي ، ولكن ما نفع الاسى ؟! .. اعود فاقول ان حب الحياة لم يخلد احدا في الحياة . فاحكموا علي بما شئتم ، فاني برغم الاسى طيب النفس مستريح الضمير . »

وبهذه الكلمات انهم المتهم دفاعه عن نفسه تاركا لقضاته ان يعودوا الى انفسهم وضمائرهم قبل ان يصدروا عليه حكمهم . ولم يتأخر هذا الحكم طويلا عن الصدور . وكان حكما بسيطا قاطعا ، يقضي برمي المتهم بالرصاص ، وحتى الموت .

عبد السلام العجيلي